الفصل الرابع

المقال التحليلي

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول:

تعريفات نظرية

خلفية تاريخية:

عرفت الصحافة العربية المقالة التحليلية منذ بداية تاريخها، فقد كتبها «رفاعة رافع الطهطاوي» في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما كتبها محمد عبده، وعبدالله النديم، ورشيد رضا في أواخر القرن التاسع عشر، وعلى يوسف وأحمد لطفي السيد وعبد القادر حمزة وأمين الرافعي ومحمد حسين هيكل وطه حسين ومحمود عباس العقاد، في النصف الأول من القرن العشرين، ومحمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين في الستينيات وحتى منتصف السبعينيات وكان معهما إحسان عبدالقدوس ثم إبراهيم نافع، وإبراهيم سعده، وصلاح الدين حافظ، وإحسان بكر وفاروق جويدة ومرسى عطا الله وعباس الطرابيلي وسعيد عبد الخالق، وعادل حسين ومجدي أحمد حسين في الوقت الحالي - أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين.

تعريف المقال التحليلي:

المقال التحليلي، مقال يكتبه كاتب متخصص في موعد معين، وفيه يعرض الكاتب الموضوع الذي يعالجه من جميع جوانبه، ومن كل النواحي التي تتصل به، ويشتمل هذا المقال على جميع المواد التحريرية، ففيه عنصر الخبر، وعنصر الحديث، وعنصر التحقيق، بل والاستيعاب لجميع المعلومات التي تتصل بالموضوع، وعلى ضوء هذا كله يقدم الكاتب رأيه ويعلن وجهة نظره، ويكون ما قدم من معلومات وأخبار بمثابة حيثيات الحكم في الموضوع الذي تناوله المقال، ولا يتصدى لكتابة هذا النوع من المقال إلا صحفي قطع شوطًا كبيرًا في الصحافة وتمرس بالتجربة والخبرة وصارت له مكانة في الوسط الصحفي، وفي الصلة بالأحداث العامة إلى جانب قدرته الكتابية وخبرته في الفنون الصحفية، وبراعته في معالجة المواقف بالعرض الشيق والتحليل الدقيق المنسجم والحجة المقنعة[1].

(١) د. إجلال خليفة، مرجع سابق، ص١٠٤.

وهناك تعريف أخر يرى أن «المقال التحليلى هو أبرز فنون المقال الصحفى وأكثرها تأثيراً، وهو يقوم على التحليل العميق للأحداث والقضايا والظواهر التى تشغل الرأى العام. ويتناول المقال التحليلى الوقائع بالتفصيل ويربط بينها وبين غيرها من الوقائع التى تتعلق به من قريب أو من بعيد، ثم يستنبط منها ما يراه من آراء واتجاهات.

ولا يقتصر المقال التحليلى فقط على تفسير أحداث الماضى أو شرح الوقائع الحاضرة، وإنما يربط بين الاثنين ليستنتج أحداث المستقبل، وليس هناك حجم معين للمقال التحليلي[١].

ويرى فريق ثالث إن المقال التحليلى منهج اقتضه ظروف العصر الحالى الذى يمكن تسميته «عصر التحليل» ويلتزم الكاتب بهذا المنهج فى تحرير المقال النقدي، والاجتماعي، والسياسى والاقتصادي، حيث يهتم الكاتب بتوخى الدقة والوضوح الذهني، ويعزف عن التعميمات الواسعة[٢].

فروق واختلافات:

وتتفق المقالة التحليلية مع المقالة الافتتاحية ومقالة العمود الصحفى فى أشياء كما تختلف عنها فى أشياء أيضًا، تتفق المقالات الصحفية الثلاث فى صياغتها على شكل الهرم المعتدل، الذى يقسم المادة إلى مقدمة و جسم وخاتمة. وتختلف المقالة التحليلية عن المقالتين الافتتاحية والعمود فى أنها لا تتقيد بحجم مادة أو مساحة ، وأنها لا تلتزم بمكان ثابت، وأنها لا ترتبط بموعد نشر دورى محدد، وإن كان كاتب المقال الافتتاحي لابدأن يلتزم بسياسة تحرير الصحيفة فإن كاتب المقال التحليلى لايعبر عن سياسة الصحيفة، وإن كان يجب ألا يختلف معها، فهناك مساحة كبيرة من الحرية تمنح لكتاب المقال التحليلى تسمح لهم بالتميز عن رأى الصحيفة ، كما تتفق المقالة التحليلية مع الافتتاحية فى غلبة الموضوعات السياسية عليها، خاصة فى أوقات الأزمات والصراعات، وإن اتسمت المقالة التحليلية بوقفات أطول مع الأحداث دارسة وفاحصة ومنقبة، قبل أن تخلص إلى تحليلاتها المتأنية[٣].

(١) د. فاروق أبو زيد، مرجع سابق ، ص٢٢٩.

(٢) د. عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص٦٩، ٧١.

(٣) د. محمود شريف، مرجع سابق، ص١٩٤.

أهداف ووظائف المقال التحليلي:

يهدف المقال التحليلى إلى تحقيق وظائف كثيرة من أهمها:

١- تحليل الأحداث الجارية والكشف عن أبعادها ودلالتها وأسبابها المختلفة.

٢- مناقشة وطرح القضايا والظواهر التى تشغل الرأى العام المحلى أو الدولى ومساعدة القراءعلى فهمها ومتابعتها.

٣- تحليل الأحداث العالمية والمواقف وإظهار خلفياتها، والإشارة إلى آثارها فى قرارات الدولة وسياساتها وفى حياة الناس.

٤- تحليل الاتجاهات السياسية للقوى السياسية المختلفة وشرحها للجماهير.

٥- التعبير عن السياسات والاتجاهات السائدة فى المجتمع وطرح وجهات نظر القوى السياسية والاجتماعية فى البلد الذى تصدر به الصحيفة ويتضح ذلك أكثر فى المقالات التحليلية التى تنشر بالصحف الحزبية.

مجال المقال التحليلي:

يتسع المجال أمام كاتب المقال التحليلى ، للخوض فى مختلف مجالات النشاط الإنسانى من سياسة واقتصاد واجتماع وثقافة وفكر وجريمة وعلوم. وإن كان النشاط السياسى يغلب على هذا النوع من المقالات، بشرط أن تكون الموضوعات التى يتناولها الكاتب مرتبطة بالأحداث الجارية ومفسرة وشارحة لها.

ويعتمد المقال التحليلى على شخصية الكاتب وقدرته على التحليل والتعليل، وعلى مدى ثقافته وإحاطته بمجريات الأمور وعلى تقييمه للأحداث والأشخاص، كما يعتمد على قسم الأبحاث فى الصحيفة وعلى قسم المعلومات بها،وعلى ما تنقله البرقيات من الخارج،وما تنشره الصحف الأجنبية من تعليقات على الأحداث ، إضافة إلى أحدث المؤلفات الصادرة عن الموضوع أو قريبا منه.

وهكذا يمكن أن تتعاون أكثر من جهة فى توفير مادة المقال التحليلى ومعلوماته، ويتوقف على صاحبه مهمة صياغته واختيار الصوروالرسوم المصاحبة للمقال التحليلى ، واختيار العبارات والألفاظ المعبرة عن مضمونه ووضعه فى الإطار العام الذى يخرج به إلى القراء.

كتابة المقال التحليلي

كباقى مقالات الصحيفة، تكتب المقالة التحليلية فى قالب الهرم المعتدل، أى يحتوى المقال التحليلى على مقدمة وجسم وخاتمة ، وإن كان المقال التحليلى يتميز عن كل من المقال الإفتتاحى والعمود الصحفى بكبر حجم مساحته مما يتيح لكاتبه أن يحشد فى جسم المقال أكبر كمية من التفاصيل والحجج المنطقية والأدلة والشواهد التى تشرح موضوع المقال إضافة إلى الخلفيات التى تتعلق بالموضوع.

مقدمة المقال التحليلي

تحتوى مقدمة المقال التحليلى على العناصر الآتية:

١ - إبراز حدث من الأحداث الهامة الجارية والذى تدور حوله المقالة.

٢ - طرح قضية تشغل الرأى العام وتمس مصالح الجمهور.

٣ - تقديم اقتراح جديد يثير اهتمام القراء.

جسم المقال التحليلي

يتضمن جسم المقال التحليلى العناصر التالية:

١ - أبعاد الموضوع ودلالته المختلفة.

٢ - المعلومات الخلفية للموضوع الذى يتناوله المقال.

٣ - حشد الأدلة والشواهد والحجج التى تؤيد وجهة نظر الكاتب.

٤ - عرض الآراء المؤيدة أو المعارضة لوجهة نظر الكاتب والرد عليها.

خاتمة المقال التحليلي

أما خاتمة المقال التحليلى فهى تحتوى على العناصر التالية:

١ - خلاصة وجهة نظر الكاتب فى الموضوع والتى وصل إليها من خلال عرضه للأدلة والبراهين والشواهد أو من خلال مناقشته للآراء والأفكار المتعلقة بموضوعه.

٢ - استثارة ذهن القارىء ودفعه للاهتمام بالقضية التى يطرحها الكاتب من خلال المقال.

٣- فتح حوار بين الكاتب والقراء من ناحية وبينه وبين غيره من الكتاب من ناحية ثانية حول موضوع المقال.

ويوضح الشكل التالى قالب كتابة المقال التحليلى.

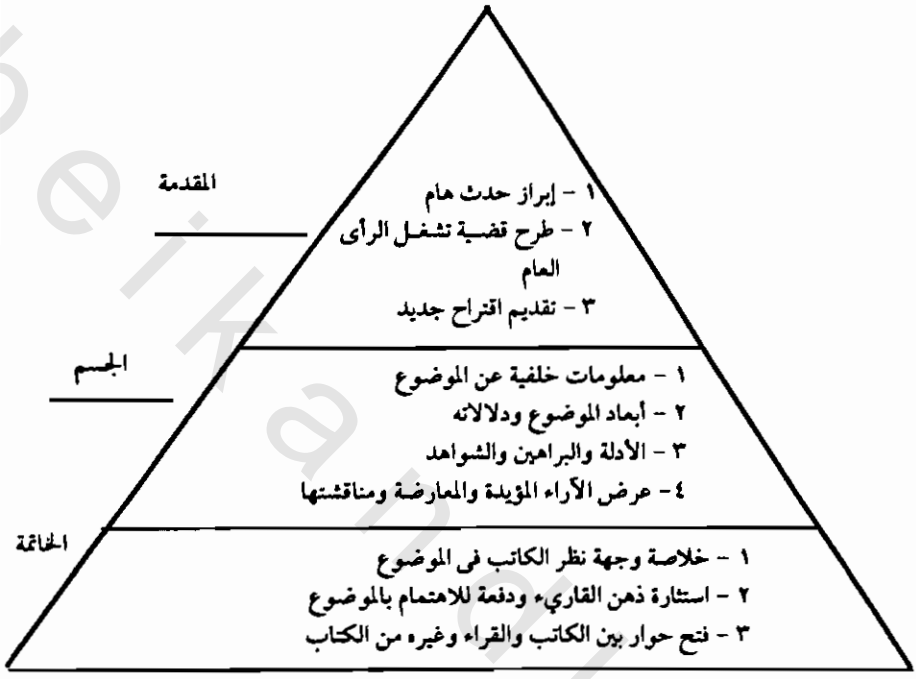

البناء الفنى للمقال التحليلى المبنى على قالب الهرم المعتدل.

المبحث الثانى:

التطبيقات العملية للمقال التحليلي

أولا نموذج الصحافة القومية:

اهتم كتاب المقال التحليلى فى الصحف القومية بحدث وفاة الرئيس السورى حافظ الأسد، وترشيح ابنه بشار خليفة له، ومن النماذج الجيدة فى هذا المجال مجموعة مقالات أعدها الباحثون فى مركز الأهرام للدرسات السياسية والاستراتيجية نختار منها هذا النموذج الذى كتبه د. محمد السيد سعيد. وقد نشر بصفحة «دراسات» مع مقال آخر للدكتور وحيد عبد المجيد، وتحت عنوان عام «سوريا بعد الأسد» (١).

قضية الخلافة

أثناء التغطية المكثفة التى قامت بها محطة تليفزيون «سى. إن إن» لحادث الرحيل «المفاجىء» للرئيس حافظ الأسد. سأل المذيع المشهور ضيفه الخبير بالشئون السورية إلى أى حد يجب أن نصدق مظاهر الحزن لدى الشعب السورى بجميع أجياله.

هذا السؤال يكشف عن فجوة فهم بين حضارتين وعالمين، . أعنى العالم الغربى والعالم العربى - فالمراقبون العرب لم يتشككوا أبداً فى صدق وتلقائية مشاعر الحزن العميق التى ألمت بالشعب السورى - وفى اعتقادى أنه حتى المعارضين الذين سقطوا ضحايا للممارسات غير القانونية وغير الديمقراطية لنظام الرئيس الراحل شعروا بحزن عميق ومخلص ولهذا الحزن مصادر ومعان متعددة . فهناك أولا حالة الحزن لرحيل شخصية قائد كبير . فواقعة الموت تحرك شعورا وجوديا وكونيا فى الحضارات الشرقية عموما، وهو شعور يتجاوز - لحظتها - فوارق الرأى وخلافات السياسة، إذ يرتكز على الدراما الإنسانية ذاتها. وهناك الأمر الثانى والأهم وهو الحزن الذى يسم موقف الإنسان العربى عندما ينظر إلى تاريخه

(١) جريدة الأهرام، ١٦/ ٦/ ٢٠٠٠.

الحديث، أى تاريخ ثلاثين عاما كانت من أكثر حقب التاريخ العربى ارتباكا ودرامية. والناظر لواقعة الموت لا يركز بصره على التاريخ الشخصى لقائد ما، وإنما على التاريخ الوطنى والاجتماعى لشعب بكامله، والأمة بأسرها. ولاشك أن فى هذا التاريخ ما يفجر ينابيع من الأحزان.

ثم هناك مصدر ثالث لايقل أصالة، وتعاليا على الخلاف الفكرى والسياسى وهو حالة التوحد التى يحدثها البقاء فى مدة الحكم لثلاثة عقود متوالية لم يشهد فيها جيلان كاملان حاكما آخر سوى الرئيس الراحل. ويؤكد صدق هذا المنظور للحزن أن أكثرية من ألمت بهم حالة اللوعة هم من الشباب الذين تشكل وعيهم كلية فى ظل الحضور الطاغى للرئيس الراحل.

والواقع أن العرب لاينفردون وحدهم بهذا المنظور. فالميل للتوحد مع الزعيم أو الرئيس الأبدى يبدو كامنا فى سيكولوجية عشرات من الشعوب والأمم، بغض النظر عما إذا كان السبب يعود إلى الثقافة الشعبية، أو إلى إعجاز الإعلام المعاصر، خاصة الإعلام الشمولى الحديث.

غير أن هذا المنظور الأخير للحزن العميق على رحيل الرئيس الأسد يبدو غالبا على غيره وطاغيا عليه، إلى الدرجة التى تبرر الحديث عن خصوصية وهى خصوصية لاتنسب للمجتمع أو الشعب وإنما للحقبة والحالة.

ويمكننا حصر هذه الخصوصية فى ظاهرة غيبوبة عامة للشعب أو الأمة التى كانت قد سلمت أو استسلمت - رضاء أو غصبا - لكون وجودها نفسه قد اندمج كلية مع الزعيم، وبحيث يصبح رحيل زعيم كاشفا لرحيل أمة أو مجتمع كامل، أو ضياع ارادته وقدرته على التحكم فى مصيره.

وهنا يكمن تفسير التسليم الغريب من جانب أمة أومجتمع لمصيره: أى مستقبله السياسى لطائفة من الأجهزة والفرق التى يبدو أنها ماضية فى تنفيذ رغبة الرئيس فى توريث ابنه على النحو الذى نعرفه فى الأنظمة الملكية.

إن العالم كله قد انشغل بقضية الخلافة فى سوريا من هذا المنظور: أى انتظار إتمام عملية التوريث هذه. ولا شك أن الترقب المثير من جانب المراقبين الأجانب للكيفية التى قد تتم بهم هذه العملية ممزوج بقدر واضح من الازدراء القلق. فهم

ضمنا يعايرون العرب بأنهم فى واحد من أهم أقطارهم قد أعادوا نظاما جمهوريا – من الناحية الاسمية – إلى حقبة ملكية، عارية عن أى سمت حديث. والواقع أن العرب لايملكون تبريرا أو دفاعا حقيقيا عن هذا الخرق للمحتوى الحداثى للفكرة الجمهورية، وكل تبرير أو ادعاء قد يكشف ويعرى بدرجة أكبر فقدان مجتمعات عربية بكاملها لفهم أصيل أو حقيقى للفكرة الجمهورية، باعتبارها أولى ركائز التطور الحداثى فى المجال السياسى.

ولايمكن إنكار وجود نوع من الشعور بالخجل أمام الواقعة. وأكثر من ذلك، فإن العرب، خاصة السوريين، لابد أنهم يشاركون العالم كله فى الحيرة حيال الكيفية التى يمكن أن يبرروا بها ذلك، خاصة أنها لاتملك خاصية ذاتية للتوقف عند حالة خلافة معينة. فإن تمت واقعة التوريث فلن يكون هناك ما يمنع من الناحية المنطقية أن تستمر مع الزمن وصولا إلى استعادة الملكية بشكلها المعروف.

ولكن الحيرة لها أسباب أخرى كلية – فمن الناحية العامة، ليست هناك تجارب كثيرة للتوريث فى النظم الجمهورية وأقرب نموذج يمكن المقارنة معه هو حالة توريث الحكم فى كوريا الشمالية من كيم إيل سونج الأب إلى كيم الابن. ومن نافلة القول إنه لايمكن القياس على هذه التجربة، لأن سوريا لم تكن ابداً بهذا القدر من الانغلاق وبهذا القدر من التسليم المطلق بعبادة الشخصية الذى وسم نظام كوريا الشمالية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

والفائدة الوحيدة التى قد ترجى من هذه المقارنة تتعلق بالعلاقة بين الزعيم الشاب والحرس القديم. ففى حالة كوريا الشمالية، تم تقييد سلطة الزعيم كيم الشاب من خلال صيغة للقيادة الجماعية التى تؤكد استمرارية الحرس القديم وقدرته على فرض سلطانه وتقاليده وفكره.

وقد يدعم من أرجحية هذا السيناريو بالنسبة لسوريا عدد من السمات الخاصة. فالدكتور بشار الأسد ليس مثل كيم الشاب الذى ورث الحكم عن أبيه فى كوريا الشمالية، لأن الأول جاء من خارج الغلاف الحيوى لمؤسسات الحكم فى سوريا. وهو من ثم يفتقر للتجربة والخبرة السياسية العريضة بالواقع السياسى لبلاده، التى

يمتلكها كيم الشاب. الأمر الثانى أن الحزب وليست أجهزة الأمن والجيش هو الحاكم الفعلى فى كوريا الشمالية بينما الأمر معكوس فى حالة سوريا.

وإضافة لذلك – وبرغم أن العالم لا يعرف الكثير عن تفاصيل الواقع السياسى المعقد على القمة فى كوريا الشمالية أو سوريا – فإن المظاهر تؤكد أن الحرس القديم فى سوريا أكثر أنقساما بكثير عما كان عليه الحال فى كوريا الشمالية عندما غادر كيم أيل سونج عالمنا . وخلال العامين الماضيين – وبدرجة أكبر خلال الأسابيع والشهور القليلة الماضية – انبسطت أمام ناظرينا فصول متعاقبة من حالة صراعيه تم تمويهها ببراعة فى حالة سوريا بإعطاء الصراع عنوانا عاما، ويبدو فاقدا للبراءة والمصداقية معا وهو الحرب ضد الفساد.

ولكى نفهم ماذا يمكن أن يحدث فى سوريا قد يجوز لنا القيام بمخاطره تحليلية تفتقر للمعلومات الدقيقة أو التوثيق المناسب، ولكنه ينهض على رؤية مقارنة لما تم فى تجارب عربية أخرى للخلافة السياسية . ويقوم جوهر تحليلنا على أن الصراع السياسى فى سوريا – على تعقيده وتعذره على التحليل وتشابك أبعاد وعوامل عديدة فيه – يدور بين جناحين ، أحدهما يدفع فى اتجاه تحديث سوريا وفك عزلتها وتحقيق قدر من الانفتاح الداخلى والخارجى لاستعادة الحيوية وتمكين البلاد من الخروج من أزمة شاملة وخانقةفى شتى المجالات . أما الجناح الثانى فهو يجمع تلك القوى والعناصر التى تعكس رؤاها المصالح الراسخة المباشرة والمرتبطة أساسا بأجهزة أمنية وبيروقراطية قوية.

وتتجمع هذه المصالح حول فلسفة واحدة وهى الاستمرارية: وبصفة أخص مواصلة هيمنة دولاب الدولة البيروقراطى والأمنى الذى شيده الرئيس الأسد على المجتمع وعلى سياسات الدولة.

والأمر المثير فى هذا الصراع – لو أن هذا التحليل صحيح أصلا – هو أنه يدور داخل نخبة الحرس القديم، وهو أمر يعنى أن القطاع أو الجناح الأقل تشدداً وسيكون عليه أن يقوم بدور ذكر النحل، فيعطى الشرعية للرئيس الجديد، ويختفى هو فى نهاية المطاف من مسرح الأحداث، وكأن رسالته هى نوع من الأمانة التاريخية التى يتوجب عليه تسليمها . ويبدو أن هذا الجناح قد استقر على

اختيار الدكتور بشار الأسد كرئيس جديد للبلاد . ليس بفضل ما يملكه من خصائص نادرة، وإنما استنادا إلى الشرعية التاريخية لأبيه:

إن تصفية عدد من أهم رموز الجناح المقابل - والمتشدد - لايكاد مع ذلك يخفى صعوبة عملية التوريث . فإضافة إلى الخجل الكامن فى تبرير واقعة التوريث ذاتها، فإن الحرس القديم المتشدد موجود بقوة فى كل أجهزة الدولة. والبرنامج السياسى الذى قد تلتقى عليه القوى المناصرة للتوريث قد ينطوى ضمنا - أوبالحتم - على تهديد شامل لكل العناصر التى رافقت مرحلة الرئيس الأسد المعقدة، وتتحمل معه المسئولية عن كثير من المشكلات والصعاب وأوجه العوار التى تسم نظامه السياسى . وهذه القوى وخاصة صفوفها الوسيطة لن تسلم بسهولة. ويكاد يستحيل القول بأنه يمكن للمرشح الشاب أن يخوض وحده وبنفسه فى لجاج البحر الهائج . خاصة أنه غير مسلح بتجربة عريضة أو خبرة فريدة أو دعم غير محدود أو مؤيد من جانب كتلة جاهزة للصراع الداخلى حتى نهايته.

ثم أن التوريث نفسه يقوم بالضرورة على شرعية الوالد أى على شىء من الاستمرارية، مهما كانت درجة جذرية برنامج التحديث والانفتاح المطلوبة.

غير أن الاستمرارية قد تأخذ شكلا من شكلين . الأول هو نوع من الحضانة السياسية التى ينسحب باكتمالها هذا الجناح الليبرالى - التحديثى من الحرس القديم وهو ما يعنى أنه ستكون هناك رئاسة حقيقية تتسم بنفس طابع التركيز الواضح للسلطة وعبادة الشخصية التى ميزت حكم الرئيس الأسد . أما الشكل الثانى فهو نوع من القيادة الجماعية التى يتجاوز فيها الجناح الليبرالى من الحرس القديم مجرد دور المساندة. لكى يقوم بدور القيادة الفعلية لفترة طويلة مقبلة.

وفى الحالتين ، قد تثور صعوبات إضافية إذا ما جمع المتشددون من الحرس القديم شجاعتهم بعد زوال سلطة الأب وخبراته الحاسمة فى خوض الصراعات فيقوم بالتدخل المباشر لوقف عملية التوريث أو بإنقلاب سياسى أو عسكرى بعد اتمامها بطريقة من الطرق المعروفة فى هذا النوع من النظم السياسية.

إن المستقبل السياسى لسوريا سوف يحسم أساسا داخل سوريا . ولكن ذلك لايعنى أن القوى الأقليمية والعالمية لن يكون لها أى دور . ويبدو أن هناك نوعا من

الحتمية فى أن تلعب هذه القوى أوراقها لصالح توريث المرشح الشاب الدكتور بشار الأسد . فالقوى الاقليمية المؤثرة مثل مصر ودول الخليج ستحاول دفع سوريا إلى مزيد من الانفتاح والمرونة السياسية، بسبب رغبتها ومصلحتها فى أن يكون هناك نظام أقل تشددا، خاصة على صعيد دبلوماسية التسوية السلمية للصراع العربى – الإسرائيلى . بل ولاشك أن الولايات المتحدة ستجد نفسها مدفوعة لتأييد ترشيح الدكتور بشار للسبب نفسه.

وقد يبدو أن ذلك سيكون موقف إسرائيل أيضاً. فإذا كانت إسرائيل راغبة حقا فى إتمام تسوية سياسية شاملة ودائمة فى المنطقة فسوف يكون من مصلحتها أن يتم استتباب الأمر لصالح الدكتور بشار الأسد . ولكن الأمر المشكوك فيه حقا هو أن إسرائيل تريد مثل هذه التسوية. فبشار الأسد لن يستطيع فى الأمد المباشر إحداث تغيير على الموقف الذى صمد عليه والده طويلا . والطريقة الوحيدة هى أن تعطى إسرائيل لبشار الأسد مالم تكن راغبة فى أن تعطيه لوالده، وهذا أمر مستبعد. وفى المقابل، فإن إسرائيل سوف تسلم للإغراء الماثل فى دفع سوريا نحو حالة من عدم الاستقرار السياسى التى تبعد سوريا عن التأثير فى دبلوماسية التسوية وتبعد فى نفس الوقت إمكانية الانسحاب الكامل والشامل من الأراضى السورية التى أحتلتها فى يونيو ١٩٦٧ .

وبالعكس، فإن موقف مصر ودول الخليج سوف يمضى لا محالة على طريق تجنيب سوريا طريق عدم الاستقرار السياسى، وهو الأمر الذى يقودها إلى دعم بشار الأسد، لو كان ذلك هو الاختيار الذى تسفر عنه التفاعلات داخل سوريا. والأرجح أيضا أن تبدأ مصر مع السعودية عملية نشيطة لدعم سوريا أيا كان الخليفة المنتظر.

.....

** ولنحاول الآن تطبيق المبادىء النظرية لكتابة المقال التحليلى على هذا المقال:

١ – اختار كاتب المقال عنواناً جاذباً يدفع القاريء لمتابعة المقال، وجاء العنوان مختصراً ومشوقاً ودالاً على قضية هامة شغلت الرأى العام بعد وفاة «الأسد» وهى قضية توريث الحكم أو الخلافة.

٢ – وقف الكاتب فى المقدمة عند سؤال وجهه مذيع محطة التليفزيون«سي. إن .إن» الأمريكية وهي تغطى الرحيل المفاجيء للرئيس حافظ الأسد: وكان السؤال: إلى أى حد تصدق مظاهر الحزن لدى الشعب السورى بجميع أجياله؟».

وأخذ «د. محمد السيد سعيد » من هذا السؤال نقطة البداية لمقاله. وهى نقطة بدء تدلل على ذكاء ودقة ملاحظة الكاتب ، فهى مفتاح يقود إلى الكثير من التفاصيل والأدلة والبراهين، وتتيح عرض وجهات النظر المختلفة فى القضية التى اختارها موضوع لمقاله التحليلى . فقد اختار قضية هامة تشغل الرأى العام.

٣ – فى جسم المقال يبدأ الكاتب فى بيان مغزى السؤال متحدثاً عن فجوة الفهم بين الغرب والعرب» فالمراقبون العرب لم يتشككوا أبداً فى صدق وتلقائية مشاعر الحزن العميق التى ألمت بالشعب السورى ، عكس المراقبون الأجانب.

ثم يتناول بالشرح والتحليل أسباب هذا الحزن الذى سيطر على الشعب السورى ، وهو فى تحليله يرجع الظاهرة إلى أسبابها الحقيقية خارجاً باستنتاجات يقبلها العقل، بعيداً عن العاطفة والانفعالات.

ويتناول أيضاً نظرة المراقبين الأجانب لماحدث فى سورياً «فهم يعايرون العرب بأنهم فى واحد من أهم أقطارهم قد أعادوا نظاما جمهوريا من الناحية الإسمية – إلى حقبة ملكية ، عارية عن أى سمت حديث».

ويقارن كاتب المقال بين ما يحدث فى سوريا وغيرها من النظم الجمهورية وخاصة ماحدث فى «توريث الحكم فى كوريا الشمالية» مبيناً الفوارق بين الحالتين، والنتائج التى تترتب على هذا التوريث وخاصة بالنسبة للرئيس السورى الشاب بشار الأسد الذى «جاء من خارج الغلاف الحيوى لمؤسسات الحكم فى سوريا، وهو من ثم يفتقر للتجربة والخبرة السياسية العريضة بالواقع السياسى لبلاده».

ويقارن أيضاً بين ما يحدث فى سوريا وماتم فى تجارب عربية أخرى للخلافة السياسية– معتمداً فى ذلك على جوهر الصراع السياسى فى سوريا الذى يدور داخل نخبة الحرس القديم الموجود بقوة فى كل أجهزة الدولة.

وهو فى تحليله الدقيق للموقف يعرض للسيناريوهات المختلفة التى يمكن أن يكون عليها شكل الحكم فى سوريا :«إما رئاسة حقيقية تتسم بنفس طابع التركيز الواضح للسلطة وعبادة الشخصية التى ميزت حكم الرئيس الأسد، أما الشكل الثانى فهو نوع من القيادة الجماعية التى يتجاوز فيها الجناح الليبرالى من الحرس القديم مجرد دورالمساندة لكى يقوم بدور القيادة الفعلية لفترة طويلة مقبلة».

٤ - ويستخلص من تحليلاته فى خاتمة المقال أن غلبة أى من السيناريوهات المحتملة لشكل الحكم متوقف على الوضع فى سوريا من الداخل ، وعلى مواقف القوى الإقليمية والعالمية، ويتهى إلى «أن هناك نوعاً من الحتمية فى أن تلعب هذه القوى أوراقها لصالح توريث المرشح الشاب الدكتور بشار الأسد».

وهكذا تضمنت خاتمة المقال خلاصة رأى الكاتب فى ما يحدث فى سوريا وتأثيراته المستقبلية، فهو لم يقف عند مجرد توصيف الحدث، وإنما تعدى التشخيص إلى التنبؤ بمايمكن أن يحدث ومواقف الأطراف المختلفة تجاه هذاالحدث.

٥- وضح من استعراض خطوات كتابة المقال الرؤية الموضوعية وغير المتحيزة للباحث، ودقة ملاحظاته، ومتابعته المتأنية والواعية لما يحدث على الساحة السورية والعربية ، ورجوعه إلى مصادر متعددة عند كتابة المقال، وتوافركم كبير من المعلومات طوعها فى براعة لكتابة المقال. الذى جمع بين اللغة الصحفية ولغة البحث العلمى فى الكتابة ، فجاءت استنتاجاته منطقية وتحليلاته دقيقة.

إلا أنه ينقص هذا المقال العناوين الفرعية التي تريح عين القارئ وتكون بمثابة محطات لالتقاط الأنفاس بين فقرة وأخرى

ثانياً: نموذج المقال التحليلى فى الصحافة الحزبية:

وفى هذه النموذج نقدم وجهة نظر وطرح آخر ورؤية مختلفة لقضية أوموضوع «توريث الحكم» من خلال مقال تحليلى للكاتب الصحفى عباس الطرابيلى نشره فى جريدة «الوفد» الناطقة بلسان حزب «الوفد الجديد» (١).

(١) جريدة الوفد ،١٨/ ٦/ ٢٠٠٠.

الشرق والديمقراطية:
معاوية .. والأسد
يزيد .. وبشار!

ماهى الحكاية..

من دمشق عرفنا الانقلابات العسكرية . من حسنى الزعيم «مارس ١٩٤٩ إلى حافظ الأسد ١٩٧٠ أى ٩ انقلابات فى أقل من ٢٠ عاما ومنذ عرفنا الانقلابات العسكرية وسيلة للقفز على السلطة من دمشق، عرفت العواصم العربية هذا الأسلوب الانقلابى للحكم: فى القاهرة . وبغداد . وصنعاء . وطرابلس ، والخرطوم والجزائر وتونس .. حتى نواكشوت «موريتانيا» ومقديشيو «الصومال» وجيبوتى!! وإذا كانت هذه الانقلابات قد نجحت وأوصلت قادة الدبابات إلى مقر الحكم فإن محاولات انقلابية عديدة لم يكتب لها النجاح فى عمان «الأردن» وفى الرباط «المغرب».

وكما رمتنا دمشق بوباء الانقلابات العسكرية التى تنقلب على الديمقراطية . جاءتنا بفكرة وراثة الحكم فى النظام الجمهورى. وها هو بشار الأسد يستعد ليرث حكم سوريا «الجمهورية» بعد رحيل والده الأسد السورى العجوز .. وينتظر نجاح التجربة بعده : عدى بن صدام فى بغداد .. والسعدى بن القذافى فى طرابلس .. وابن عبدالله صالح فى صنعاء .الكل ينتظرون كيف تمضى التجربة الدمشقية بداية بتعديل الدستور إلى الترقية العسكرية إلى الانضمام إلى التنظيم السياسى أو الحزبى. الكل يترقب السيناريو السورى الذى يصل إلى نقطة .. الاستفتاء . ونحن «كل العرب» نعرف كيف تجرى هذه الاستفتاءات..ونعرف نتائجها مقدماً..

وتجربة دمشق مع الانقلابات العسكرية، ومع توريث الحكم الجمهورى ليست وليدة العصر.. بل تعود إلى ١٤ قرناً من الزمان، هى عمر الإسلام كله..

فالأمويون فى دمشق هم الذين حطموا ديمقراطية الإسلام وحولوا حكم الشورى والجمهورية الحقيقية إلى حكم الحاكم الفرد .. وإلى توريث الحكم

لابن الحاكم . وهم أول من جاءوا بوراثة الحكم بعد مضى ٤٠ عاماً فقط من هجرة الرسول إلى مدنيته المنورة . . أى . ولوها إلى «هرقلية» كما قال عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق الذى قال عندما طلب معاوية بن أبى سفيان البيعة لابنه يزيد قائلاً : تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل.. قام هرقل.

وكان الحاكم – قبل معاوية – يتم اختياره بالشورى . فقد مات رسول الله دون أن يحدد خليفته . وتم اختيار أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بالشورى ، إلى أن جاء معاوية فألغى الديمقراطية «الشورى» فى اختيار الحاكم ليضع نظام الوراثة فى الإسلام ويفرض ابنه يزيد على المسلمين.

كيف تم ذلك. وكيف تحقق له ما أراد . ومن هو الذى أشار عليه بذلك . وهل كانت له منفعة فى ذلك؟ . تعالوا نرو حكاية مصرع الديمقراطية على يد حاكم دمشق القوى معاوية بن أبى سفيان من أجل أن يجعل الحكم وراثياً فى ابنه وفى أسرته.. خصوصا وأنه استعمل لتحقيق ذلك : الأغراء بالكلام المعسول تارة. وبالمال أخرى، وبالسيف لمن أبى أو قاوم.ومن دمشق فى العصر الحديث من عاصمة الأمويين يأتى توريث الحاكم الأسد مقاعد الحكم لابنه بشار.

هل هى مصادفة، ومن نفس المدينة: تعديل دستورى تفصيل حتى لا يتقدم غيره للرئاسة إلى ٣٤ سنةوليس مثلاً ٣٥ سنة لأن بشار ولد فى مايو ١٩٦٦ !! وهل كان ينقص فى التعديل الدستورى أن ينص فيه على اسم المرشح رباعياً؟! فهل فعل مخضرمو السياسة فى دمشق هذا خدمة للأسد الأب بعد موته.. أم يخدمون الأسد الابن أغلب الظن أنهم ماخدموا إلا أنفسهم، ليضمنوا البقاء فى مقاعدهم. وحتى يستمر النظام الذى كانوا أركانه. حتى ولو كانوا .. تابعين!!

**كيف قضى معاوية على ديمقراطية الإسلام.. ليجىء بولده يزيد !! ويضمن لأسرته الحكم حتى حكم المسلمين ١٤ خليفة من الأمويين بداية بمعاوية عام ٤١ ه إلى مروان بن محمد عام ١٣٢ ه واستمرت دولتهم الأموية ٨٠ عاماً.. ؟

وهنا نقول إن الحسن بن على تنازل عن حقه حقنا لدماء المسلمين وعقد صلحا مع معاوية على أن يكون الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين «يولون عليهم من أحبوا» ولكن معاوية خالف هذا الاتفاق أوهذا التنازل المشروط من الحسن بن على وأصبح معاوية صاحب السلطان المطلق ابتداء من عام الجماعة .. العام ٤١ من الهجرة

ويقول «نيكلسون» أن معاوية كان يرمى إلى جعل الخلافة ملكاً كسروياً . وليس أدل على ذلك من قوله «أنا أول الملوك» كماجاء فى تاريخ اليعقوبى..

** كان المغيرة بن شعبة والى الكوفة هو صاحب هذه الفكرة.

ففى عام ٥٦ أى قبل أن يموت معاوية بأعوام أربعة أراد معاوية أن يعزل المغيرة عن ولاية الكوفة فسار المغيرة إلى دمشق وقبل أن يدخل على معاوية دخل على ابنه يزيد وقال له: لقد ذهب أعيان أصحاب النبى ، وكبراء قريش وبقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسياسة . ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة .. ودخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة. فاستدعاه معاوية وسأله مستوضحا فقال له المغيرة : لقد رأيت ماكان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان. وفى يزيد منك خلف فاعقد له. فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس ولاتسفك دماء ولاتكون فتنة . فقال معاوية: ومن لى بهذا ؟ فقال المغيرة : أكفيك أهل الكوفة. ويكفيك زياد ابن أبيه أهل البصرة.وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفه.. فقال له معاوية : فارجع إلى عملك . وتحدث مع من تثق إليه فى ذلك وترى ونرى..

وهكذا بسبب هذه الفكرة استمر المغيرة فى موقعه..ولم يعزله معاوية بل عاد إلى ولايته غانماً . وسرعان ما أقنع البعض فى الكوفة وأرسل منهم وفداً إلى معاوية فى دمشق منهم ابنه موسى وعرف معاوية «الفولة» عندما سأل معاوية موسى بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم فقال موسى: بثلاثين ألفاً . فقال معاوية: لقد هان عليهم دينهم. ورغم هذا زادت قناعة

معاوية بالفكرة فأرسل إلى زياد فى البصرة، فنصحه بالتريث.. ولكن المغيرة كان قد فتح الباب وعرفه السبيل . وأن الذمم تباع وأن العهود تشترى وأرسل إلى واليه على المدينة مروان بن الحكم يقول له: «قد كبرت سنى ورق عظمى وخشيت الاختلاف على الأمة ورأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدى..» وكان معاوية يدبر أمره. يبذل المال حين يرى أن المال ينفعه .. ثم يدخل معه فى الرأى من يخافهم حتى لا يطمعوا فيه ويخالفوه عليه حتى يعرف عدوه من صديقه ويحتاط لأمره ولأمر ابنه من بعده.

** ولما وصل كتاب معاوية إلى مروان قال للناس: أن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يقصر. وقد استخلف ابنه يزيد بعده. فرد عليه عبدالرحمن بن أبى بكر فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ما الخيار أردتما لأمة محمد ولكنكما تريدان أن تجعلاها هرقلية. كلمامات هرقل قام هرقل . ثم قام الحسين بن على فأنكر ذلك. وفعل مثله عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير.

وتروى كتب التاريخ هذا الحديث بتفاصيل كاملة فتجدها فى ابن الأثير. والمسعودى ونقل تفاصيلها د. حسن إبراهيم حسن فى سفره تاريخ الإسلام السياسى وإبراهيم الأبيارى فى كتابه الجامع عن معاوية ضمن سلسلة أعلام العرب.. إذ جمع حوله دهاة العرب ليدعموا فكرته. وفهم يزيد بن المقنع العذرى هدف معاوية فعندما دعاه للبيعة لابنه قال: هذا أمير المؤمنين - وأشار إلى معاوية - فإن هلك فهذا - وأشار إلى يزيد - ومن أبى فهذا - وأشار إلى سيفه. وكانت كلماته هى الحاسمة لخصت ما فى نفس معاوية وقال له :«اجلس فأنت سيد الخطباء!!» .

وبعد أن بايعت العراق والشام خرج معاوية إلى الحجاز ومعه ١٠٠٠ فارس ، ولما اقترب من المدينة لقيه الحسين بن على فقال له كلاما شديداً .وكذلك قال له ابن الزبير وعبدالرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر.. ثم وقف يخطب الناس وتحمل كلماته الترغيب تارة.. والتهديد أخرى. ولما لم يحصل على مراده . ذهب إلى السيدة عائشة فنصحته بالرفق بهم . خصوصاً وأنهم تركوا المدينة إلى مكة.

**وذهب معاوية إلى مكة وجلس إليهم هناك وتحدث لهم برفق كنصيحة السيدة عائشة . وعندما التقى بهم دار حوار هو القمة فى الديمقراطية . وعندمارفضوا إجابة لرغبته التفت إلى ابن الزبير وقال له : لعمرى أنك خطيبهم وهنا قال ابن الزبير :نعم نخيرك بين ثلاث خصال . فقال معاوية : إعرضهن . فقال ابن الزبير : تصنع كما صنع رسول الله، أوكما صنع أبو بكر . أو كما صنع عمر . فقال معاوية وهو يتجاهل ما صنعوا ؟ قال ابن الزبير : قبض رسول الله ولم يستخلف أحداً، فارتضى الناس أبا بكر. فقال معاوية : ليس فيكم مثل أبى بكر. وأخاف الاختلاف فقالوا له: صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر، فإنه عهد إلى رجل من قريش ليس من بنى أمية فاستخلفه، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر. جعل الأمر شورى فى ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بنى أبيه.

وعرف معاوية ما عند القوم. فقال لابن الزبير : هل عندك غير هذا ؟ فقال ابن الزبير: لا واتجه معاوية إلى أصحاب ابن الزبير فقالوا : قولنا . قوله.

وبدأ معاوية يستخدم الشدة وقال لهم: قد أعذر من أنذر وأقسم بالله إن رد على أحدكم كلمة فى مقامى هذا لاترجع إليه كلمة غيرهاحتى يسبقها السيف إلى رأسه .

وهكذا حسم معاوية أمره وصمم على أن يفعل . ودعا حرسه ووضع على كل واحد من هؤلاء المعارضين رجلين ومع كل واحد سيفا.. وأمرهم إن أراد واحد منهم الرد على معاوية سواء لتصديق أو تكذيب .. يضرباه بسيفيهما.

وخرج معاوية وخرجوا معه فصعد المنبر وأشار إليهم وقال للناس: هؤلاء الرهط سادة المسلمين لايتز أمردونهم ولايقضى إلا عن مشورتهم . وأنهم رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله..

**وهكذا حصل معاوية على ما يريد وحملهم قسراً وقهراً وهم سادة قريش على البيعة بالقهر والتهديد بقطع الرقاب.. ورقاب من؟ سادة قريش:

ابن أبى بكر. وابن عمر بن الخطاب . وابن على بن أبى طالب. وابن الزبير.. وغيرهم. وما إن حصل على البيعة لولده يزيد حتى رحل عن مكة فى طريقه إلى عاصمة ملكه وملك أسرته من بعده: دمشق . ومات بعد أربع سنوات بعد أن ملك ١٩ سنة وثلاثة أشهر وكان عمره ٧٥ سنة وقيل ٨٥.

ويبقى هنا أن صاحب هذه المشورة المغيرة بن شعبة حين أوعز لمعاوية بفكرة «الوراثة» قال لأصحابه بعد أن قبض ثمن مشورته وهى البقاء فى منصبه والياً على لكوفة. قال لهم« لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على أمة محمد.. وفتقت عليهم فتقاً لايرتق أبداً..»

واللافت للنظر أن «يزيد» الذى صنع لأجله الانقلاب على الديمقراطية لم يعمر فى الخلافة إلا ثلاث سنين واجهته خلالها متاعب جمة منها خروج الإمام الحسين بن على عليه فى العام الأول لخلافته فوقعت معركة كربلاء التى استشهد فيها الحسين . كماخرج عليه عبدالله بن الزبير إلى أن قُتل ودُمرت الكعبة المشرفة.. وبعد رحيل يزيد تولى بعده ابنه معاوية الثانى وكان ضعيفاً فلم يزد عهده على ٤٠ يوماً ولم يتمتع بالملك لمرضه.

** ولم يقف الأمر بالدولة الأموية عند توريث الحكم بل قامت على تولية العهد لاثنين يلى أحدهما الآخر حتى قيل إن الخلافة فى عهد بنى أمية استحالت إلى ملك استبدادى يعتمد على نظام التوريث . وبذلك خرج الأمويون – من دمشق – فى حكم الدولة الإسلامية على نظام الشورى الذى ساد فى عهد الخلفاء الراشدين . وكان لتولية اثنين العهد أنه لم يكد الأمر يتم لأحد أبناء الخليفة المتوفى حتى يعمل على إقصاء الآخر من ولاية العهد واحلال أحد أولاده مكانه.. وإذا كان معاوية أول من سن سنة التوريث.. فإن مروان بن الحكم أول من عمل على أخذ البيعة لاثنين من أولاده . واتبع عبدالملك بن مروان سنة أبيه فعمل على خلع أخيه عبدالعزيز من ولاية العهد وتولية أبنيه الوليد وسليمان وسار الوليد سيرة أبيه.

***وكما خرجت من دمشق فكرة وراثة الحكم فى صدر الإسلام والخروج على الديمقراطية والجمهورية. خرجت من دمشق أيضا فكرة وراثة الحكم الجمهورى إذ بمجرد إعلان وفاة الرئيس الأسد.. بدأت عملية توريث ابنه رئاسة الجمهورية..*

ولايبقى إلا أن ندعو للسلطان بالنصر وأن نقرأ الفاتحة على .. الديمقراطية!!

.....

** وبتطبيق المبادىء والقواعد النظرية لكتابة المقال التحليلى على هذا المقال ، يمكن أن تخرج بالملاحظات الآتية:

١ - عنوان المقال «معاوية.. والأسد.. يزيد.. ويشار!» عنوان ذكى ودال ومعبر، ويعكس وجهة نظر الكاتب ، فهو يقارن ويشبه الأسد بمعاوية وبشار بيزيد بن معاوية..وهذه المقارنة تدعو القارىء لمتابعة المقال لمعرفة أوجه المقارنة والسبب فى المقارنة.

٢ - مقدمة المقال مقدمة توصيفية وتحمل أيضاً وجهة نظر الكاتب فيما يحدث فى سوريا «من دمشق عرفنا الانقلابات العسكرية.. ومن دمشق جاءتنا فكرة وراثة الحكم فى النظام الجمهوري» . فهى مقدمة تمهيدية ومدخل لموضوع «توريث الحكم فى سوريا».

٣ - ساق «عباس الطرابيلي» فى جسم المقال الدلائل والحقائق التى يرى أنها تؤيد ما ذهب إليه فى بداية المقال، معتمداً على السرد التاريخى «تجربة دمشق مع الانقلابات العسكرية، ومع توريث الحكم الجمهورى ليست وليدة العصر.. بل تعود إلى ١٤ قرنا من الزمان ، هى عمر الإسلام كله».

ويمضى فى سرد تفاصيل ما فعله معاوية لتستقر الأمور لابنه يزيد ، وكيف حمل سادة قريش قسراً وقهراً على البيعة ليزيد.

٤ - وتأتى خاتمة المقال لتؤكد ما ذهب إليه من البداية: «وكماخرجت من دمشق

فكرة وراثة الحكم فى صدر الإسلام والخروج على الديمقراطية والشوري، خرجت من دمشق أيضاً فكرة وراثة الحكم الجمهوري. إذ بمجرد إعلان وفاة الرئيس الأسد.. بدأت عملية توريث ابنه رئاسة الجمهورية . ولايبقى إلا أن ندعو للسلطان بالنصر وأن نقرأ الفاتحة على الديمقراطية!!»

٥ - البناء الفنى لهذا المقال التحليلى يقوم على قالب الهرم المعتدل ، مقدمة، وجسم وخاتمة.

٦ - عكس النموذج السابق « مقال د. محمد السيد سعيد» وقف «عباس الطرابيلى « عند حدود الماضى ولم يتحدث عن المستقبل، فهو قد رجع إلى التاريخ ليؤكد وجهة نظره ويربط بين ماحدث فى سوريا الآن وماحدث أيام معاوية بن أبى سفيان.

٧ - جاء المقال غنى بالمعلومات التاريخية التى تفيد سعة إطلاع الكاتب ورجوعه إلى المصادر التاريخية المتعددة.

٨ - إن كان كاتب المقال قد رجع إلى الماضي، فإن المقال مقال رأى وليس مجرد إتيان بمعلومات تاريخية، فمجرد مقارنته بين معاوية والأسد من ناحية وبين بشار ويزيد من ناحية أخرى فهذا فى حد ذاته «رأياً» وحتى ختام مقاله بعبارة ..ولايبقى إلا أن ندعو للسلطان بالنصر وأن نقرأ الفاتحة على الديمقراطية » فهى عبارة تهكمية بالغة الدلالة . فهو يرى أن ماحدث ردة كبيرة وقضاء على الديمقراطية وعودة إلى الملكية.

٩ - يتجلى فى المقال أسلوب الكاتب البليغ وميله إلى البحث ونزعة المعارضة التى تسيطر على خطابه.

١٠ـ يؤخذ على هذا المقال عدم وجود عناوين فرعية تمثل نقلات بين فقراته.

ثالثا : نموذج للمقال التحليلى بالصحف العربية

والنموذج الذى نقدمه هنا مقال تحليلى كتبه الصحفى عرفان نظام الدين، ونشرته جريدة الحياة فى صفحة الرأى [١].

---

(١) الحياة ، ١٩/ ٦/ ٢٠٠٠ العدد ١٣٦١٣.

سورية: ملفات الأب وتحديات الابن؟!

* الكمّ الهائل من ردود الفعل والتحليلات والتعليقات والتكهنات التى صدرت بعد وفاة الرئيس حافظ الأسد عبرّت عن الدور الكبير الذى لعبه خلال ثلاثة عقود كلاعب رئيسى وسياسى وزعيم فى المنطقة والعالم. كما أكدت عدة ثوابت تتركز كلها على أهمية سورية عبر التاريخ وضرورة السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط.

وجاءت عملية الانتقال السلمى و«السلبى» للحكم من الرئيس الأسد إلى نجله الدكتور بشار والمشاركة العالمية والعربية الواسعة فى تشييع الرئيس الراحل وسط مشاعر الحزن والأسى لتلقى مزيد من الأضواء على الدور الذى لعبه كعامل أساسى من عوامل الاستقرار فى المنطقة، وهى كلمة شكلت «القاسم المشترك» الأكبر فى قاموس ردود الفعل وتصريحات الزعماء العرب والعالمين وتحليلات الكتّاب والصحفيين كما عبرت عن الإعجاب بشخصيته التى استطاعت أن تعبر حقول الغام خطيرة بسلام وتنجو من عواصف مدمرة فى محيط ملىء بالاضطرابات والمشاكل والهموم والصراعات والمؤامرات والمطامع.. والطموحات والمصالح الشخصية والسياسية والاقتصادية والدولية..

ورثة الأسى التى غلبت على أجواء التشييع والوداع أنست الكثيرين رأيهم المسبق ونزعتهم العدائية وبعضها غذتها إسرائيل ضد الرئيس الراحل فحرصت على انتقاء المزايا وتعداد الايجابيات واعتبار وفاته خسارة لسورية .. وللعرب.. ولمسيرة السلام فى الشرق الأوسط خاصة وأنها جاءت فى وقت يمكن أن يترك غيابه فيه فراغاً كبيراً قد يهزّ الاستقرار فى المنطقة ويلهب الكثير من الجراح التى لم تندمل بعد.

ويمكن تلخيص ابعاد ما اجمعت عليه ردود الفعل والتحليلات والأصداء بالتركيز على النقاط التالية:

* أن رحيل الرئيس الأسد حدث مهم ومصيرى قد يؤثر على الاستقرار والتوازنات فى المنطقة وأن هناك توافقا دوليا على وجوب العمل على منع حدوث فراغ يتسبب بحدوث قلاقل فى سورية تمتد إلى الجوار ثم تهز التوازنات التى تحكم المنطقة منذ فترة وتنسف مسيرة السلام من أساسها.

* أن عملية الانتقال السلسة والمبرمجة بانتظار الاستفتاء العام الشهر المقبل اعطت انطباعاً جيداً عن قدرة المؤسسات التى أقامها الرئيس الراحل على الإمساك بزمام الأمور وتسليم الأمانة إلى الرجل الذى اختاره لخلافته وهو الدكتور بشار الأسد الذى أصبح مرشحا رسمياً ووحيدا للرئاسة وقائداً عاماً للقوات المسلحة برتبة فريق وهو أعلى منصب عسكرى وقيادى فى البلاد..

* أن الترتيبات التى اتخذت كانت معدة سلفاً من قبل الرئيس الأسد شخصياً لاعداد نجله لتحمل هذه المسؤولية وتمهيد الأجواء المريحة له على كافة المستويات الرسمية والشعبية والعسكرية والإعلامية.. والخارجية. فقط التوقيت هو الذى اختلف فقد توفى قبل اسبوع واحد من موعد الاستحقاقات المرسومة التى كان سينتخب فيها الدكتور بشار فى القيادة القطرية لحزب البعث تمهيدا لتسلمه منصب النائب الأول للرئيس وتعديل الدستور بالنسبة لسن المرشح للرئاسة.

* أن الكثير من الملفات الحيوية والهامة ما زالت مفتوحة وانتقلت كما هى من الرئيس الأب إلى الرئيس الابن ومعها تحديات واسعة لابد أن يواجهها الدكتور بشار الأسد بحكمة وحزم حتى يتجاوزها ويتمكن من غلق ملفاتها الواحد تلو الاخرى، ولاسيما ملفات السلام والفساد والإصلاح الاقتصادى وتحديث البلاد وتعميم المعلوماتية وتكريس بناء المؤسسات على اسس حديثة متطورة تتماشى مع المتغيرات العالمية وضرورات المرحلة ومستجدات المنطقة وواقع الحال الذى يعيشه الشعب السورى والشعوب العربية بوجه عام لاسيما على الصعيد المعيشى.

* أن الدكتور بشار الأسد قد اجتاز الامتحان الأول بنجاح لتماسكه ورباطة جأشه بعد الوفاة وإمساكه بزمام أمور ترتيبات عملية الانتقال وتصرفه كرجل دولة خلال مراسم التشييع ولقاءاته مع القادة العالمين والعرب المشاركين في الجنازة ولابد كي ينجح في المستقبل من استثمار التعاطف الشعبي لاتخاذ قرارات تحقيق الإنفراج.

وهنا لابد من التوقف عند نقاط مهمة منبثقة من هذا الحدث المهم وهي:

أولاً: أنه من الظلم مقارنة الدكتور بشار بوالده وبحنكته وسياسته وأسلوبه. وهو خطأ ارتكبه الكثير من المحللين عند وفاة الملك حسين ثم الملك الحسن الثاني. لأن هؤلاء الزعماء لم يكونوا كما كانوا عند تسلمهم الحكم بل اكتسبوا خبرة واسعة خلال سنوات حكمهم الطويلة تخللتها احداث واضطرابات ومحاولات اغتيال ومؤامرات واتصالات سرية وعلنية وعلاقات صداقة وتعاون وتحالف وحالات مد وجزر وتجارب بعضها حلو وبعضها مر وحروب وانتصارات ونجاحات وانكسارات صقلت شخصياتهم ومكنتهم من تحقيق ماحققوه من انجازات وما بنوه من رصيد.

وكما خطا الملك عبدالله الثاني ملك الاردن والملك محمد السادس ملك المغرب والشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البحرين خطوات واثقة نحو إثبات الذات والعبور إلى بر الأمان وكسب ثقة الشعب واحترام العالم يأمل كثيرون بأن الرئيس السوري العتيد سيتمكن من تجاوز محنة الحزن ويعمل على سد فراغ الزعيم الراحل والتغلب على المصاعب.

ثانياً: أن الدكتور بشار الأسد قد حظي برعاية والده وتوجيهه وتدريبه على الحكم منذ مصرع شقيقه باسل علماً أنه عندما فتح عينيه على الحياة كان والده قائداً لسلاح الجو ثم عاش احزان نكبة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وبعدها أفراح انتصار تشرين الأول (اكتوبر) وكل ما تلاها من أحداث حيث تربى في بيت يرضع فيه كل يوم لبن السياسة ومتاعبها وتسارع ايقاعاتها. ولاننسى أنه أمسك بيديه في الآونة الأخيرة ملفات

مهمة وحساسة جنباً إلى جنب مع والده الراحل من ملفات لبنان إلى الفساد والاقتصاد والسلام والتعيينات في معظم المناصب والمؤسسات الهامة والحساسة مما ساعد في تأمين مثل هذه السلاسة التي شهدناها ويساعد على تحقيق الاستمرارية بيسر وسهولة بعيداً عن الخضّات والمفاجآت.

كما أن الدكتور بشار قام بجولات واسعة تعرف خلالها على معظم القيادات العربية وأقام صداقات مع معظمها كما أمضى فترة تدريبية على البروتوكول في سويسرا تمهيداً لجولة عالمية بدأها بفرنسا وكان يمكن أن يكللها باتجاه الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا والصين ومختلف دول العالم لولا وفاة الرئيس الأسد..

ثالثاً: أن الظروف التي حكم فيها الرئيس الأسد وغيره من القيادات العربية تختلف تماماً عن ظروف الجيل الجديد على كافة الأصعدة وسط متغيرات عالمية هائلة قلبت التوازنات والأوضاع رأساً على عقب ووضعت الشرق الأوسط أمام مفترق طرق، ولهذا جاءت عملية تجديد دم القيادات العربية وشبابها في الوقت المناسب، والدكتور بشار بدأ رحلة الولوج إلى العصر الحديث منذ البداية من خلال مواصلة دروسه في الغرب وإشرافه الشخصي على المعلوماتية وإدخال التكنولوجيا إلى سورية.

رابعاً: أن الدعم الحزبي والرسمي والشعبي لترشيح الدكتور بشار حسم بسرعة مما أدى إلى إلحاقه، من دون تردد أوانتظار، بدعم عربي ودولي يضفي عليه شرعية مضاعفة ولاسيما من المفاتيح الرئيسية في الرياض والقاهرة وعمان وواشنطن وباريس ولندن يضاف إليها اعتراف إسرائيل بواقع لا مفرّ منه وابداء استعدادها لمواصلة مسيرة السلام عندما يحين الوقت المناسب لاستئنافها . وقد كان لمواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ومعه الأمير عبدالله والأمير سلطان والرئيس حسني مبارك والملك عبد الله (لاسيما في حديثه ل CNN) واتصالهم المباشر به وتأكيد عزمهم على دعمه ومؤازرته والتعاون معه أكبر الأثر في تعزيز ترشيحه ومساعدته

على اجتياز المرحلة الحرجة وفتح الأبواب الدولية أمامه والتبشير بقدرته على الإمساك بزمام الأمور ومواصلة المسيرة التى بدأهاوالده وعزمه على تعزيز الاستقرار ومواصلة مسيرة السلام.

ومع هذا فإن الدكتور بشار سيتسلم مقاليد الرئاسة قريباً بعد إتمام الإجراءات الدستورية وإعلان نتائج الاستفتاء العام ويتسلم ملفات مفتوحة ومعها تحديات يجب أن يواجهها بحزم وحنكة وسرعة وحسم بلا تردد ولا ارتباك لأن كل الأعين متجهة إليه لتراقب خطواته وتلتقط أية أشارة أوهفوة أو خطوة لتبنى عليها استنتاجاتها لمعرفة اتجاهات أشرعته وتقوم بعملية مقارنة بين أسلوب السلف وأسلوب الخلف ومدى سيره على خطاه.

هذا مع العلم أنه من غير المنطقى توقع حدوث تطابق أو «عملية استنساخ» بين الأسلوبين فلكل شيخ طريقته، ولكل زمان دولة ورجال، ولكل إنسان أسلوبه ولكل زعيم حساباته خاصة وأننا نعيش عصر الشباب وتطلعاته ويخطىء من لايعترف بواقع كل جيل وظروفه ونظرته للأمور واختلافه فى الأسلوب أما التحديات الناجمة عن الملفات المفتوحة فهى كثيرة لعل أبرزها:

* متابعة ملف الفساد حتى النهاية ووقف الهدر وتنظيم الإدارة العامة لتتماشى مع روح العصر شرط أن تعمل بكل نزاهة وشفافية واحترام للإنسان والقانون والنظام ولقدسية المال العام وفق مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص.

* المضى فى الإصلاح الاقتصادى ليس بالمسكنات والأدوية المهدئة بل بالجراحة وفى العمق حتى تدخل سورية فى عالم الاقتصاد الحديث والحر ويعم الأزدهار فى بلد أنعم الله عليه بالثروات البشرية والمائية المعدنية والطبيعية والسياحية والاستراتيجية. ولابد من ضمان عودة الثقة بالوضع الاقتصادى وايجاد فرص العمل للشباب وإزالة المعوقات والعراقيل، ومحاولة جذب الاستثمارات الأجنبية، وقبلها الاستثمارات السورية

واستخدام رصيد المغتربين العرب برؤوس أموالهم وأدمغتهم المهاجرة بوصفه الورقة الرابحة الكبرى القادرة على تحويل سورية إلى قوة مرهوبة الجانب اقتصاديا خلال سنوات قليلة.

* ملف السلام، وهو محور مصير الملفات الأخرى، وهو مازل مفتوحاً ومجمداً رغم قطع اشواط مهمة في مسيرة اقفاله . ولايختلف اثنان على أن الدكتور بشار لن يتخلى عنه أو يمتنع عن مواصلة المسيرة التي سارعليها والده بتمسكه بالسلام العادل من جهة ورفضه تقديم تنازلات من جهة ثانية . ولعل من حسن الحظ أن الفترة الأخيرة شهدت انفراجاً تمثل في لقاء وزير الخارجية فاروق الشرع مع وزيرة الخارجية الأمريكية التي اكدت عودة التفاؤل إلى تحريك المسار السوري - الإسرائيلي وتحقيق اختراق وشيك بعد الاعتراف بأهمية سورية وصحة مقولة : لاحرب بلا مصر ولاسلام بلا سورية.

الاختلاف الوحيد بعد وفاة الرئيس الأسد تركز في اتجاهين الأول يقول بأن الرئيس الابن سيلتفت في المرحلة المقبلة وعلى المدى القريب إلى الشؤون الداخلية وعملية تركيز دعائم حكمه وحل القضايا العالقة مما يعني أن ملف السلام لن يفتح إلا بعد تسلم الرئيس الأمريكي الجديد مقاليد الحكم. فيمايدعو الاتجاه الثاني إلى الفصل بين الشأنين الداخلي والخارجي بحيث تستأنف المفاوضات جنباً إلى جنب مع عملية البناء الداخلي ومن هذه المنطلقات هناك من يقول أن الفترة المتبقية للرئيس كلينتون لاتتيح له انجاز ما وعد به وأنه من الأفضل عدم تسليف رئيس راحل عن البيت الأبيض ، بل التعامل مع رئيس جديد ومنحه ورقة يسيل لها لعاب أي رئيس أمريكي ولاسيما في ولايته الأولى حتى يدخل التاريخ كرجل دولة حقق انجاز سلام في العالم.

* أما الملف اللبناني فسيبقى مفتوحا ما دام المسار السوري لم يتحرك إلا أنه من غير المتوقع إنشغال الرئيس السوري الجديد بمشاكل خارجية ومعارك بحسابات خاطئة مما يعني أن الهدوء في جنوب لبنان سيتكرس بعد

الانسحاب الإسرائيلي من دون إقفال ملف المقاومة واحتمالات استئناف دورها في المدى البعيد إذا تعثرت عملية السلام مما يهدد إذا حدث بمواجهات خطيرة.

أما بالنسبة إلى قضية الوجود السوري في لبنان، فقد أكد الرئيس العتيد أنه مؤقت وشرعي وخاضع لقرار من لبنان ومصالحه ومقتضيات أمنه، مع توقع اتخاذ خطوات لقطع الطريق على أية محاولة لإثارة الفتن وتحريك خطط المطالبة بخروج القوات السورية من لبنان إضافة إلى خطوات مطلوبة لتصحيح الصورة ونزع الذرائع وإزالة أي سبب. للشكوى من أجل الحفاظ على العلاقات المميزة والمصالح المشتركة للبلدين.

* ملف العلاقات الخارجية : وهو أكثر الملفات استقراراً في عهد الرئيس الأسد، ومن المرجح أن الدكتور بشار سيسير على نهج والده في علاقاته العربية والدولية ولاسيما مع مصر والمملكة العربية السعودية أولاً ثم مع جميع الدول العربية ولاسيما دول الخليج والأردن .أما السلطة الفلسطينية والعراق فمن غير المتوقع حدوث تغيير دراماتيكي معهما مع توقع علاقات أكثر هدوءاً وأقل حساسية من ذي قبل. وتبقى العلاقات الدولية فهي مرسومة بدقة وفق توازنات وحسابات محددة بعد أن شهدت تحسناً كبيراً في العقد الأخير ولاسيما مع الولايات المتحدة وفرنسا ودول أوروبا، ومع إيران حليفة سورية في عهد الأسد، والجارة تركيا التي فتحت معها صفحة جديدة بعد سنوات من التأزم والمواجهة:

لقد أعد الرئيس الراحل المسرح بعناية ودقة لخلفه ومهد له الأجواء ليتسلم الرئاسة من بعده بمثل هذه السلاسة ويبقى على الدكتور بشار الآن، وهو طبيب عيون، أن يبصر طريقه ويمشي فيه ومعه سورية وشعبها إلى برّ الأمان والاستقرار والسلام والحريات وتوسيع دائرة الديمقراطية والمشاركة الشعبية . فأمامه تحديات جسام بيده وحده مواجهتها والتعامل مع الواقع بحنكة وحكمة وجرأة وتسامح وحل مشاكل الناس والاستماع لصوت الشعب فالحاكم كما سمعت من الملك الراحل الحسن الثاني: يشبه الرجل

الذى يمسك بحبل يشدّ على رقبة أسد فإن لم يطعمه قفز عليه والتهمه .. وإن غفلت عينه عنه وأفلت الحبل انقض عليه افترسه . كما كان الملك عبدالعزيز رحمه الله يقول: أن الحكم سيف ومنسف فى تعبير مجازى يساوى بين السلطة الحازمة والقوية وتحقيق الرخاء وتأمين لقمة العيش للمواطن . فالحاكم الجيد ليس المرهوب الجانب والمخيف أوالمحبوب فقط كما يقول ماكيا فيللى بل هو الذى يتعظ من الماضى ويعمل للحاضر وينظر للمستقبل.

والكل ينتظر الآن انتهاء فترة الحداد والحزن وبدأ مرحلة العمل والجد وتسلم المقاليد لتحديد معالم طريق المستقبل وأولوياته واتجاهاته ومدى ما يأخذ بشار عن والده من صبر وأمساك بالأوراق والتوازنات والتأنى باستخدام الوقت كحليف مميز وحدود الاستمرارية وضوابطها وسط امال بأن يكون الولد سر أبيه..ومن شابه أباه ما ظلم.

وبانتظار ذلك تقف سورية ومعها المنطقة أمام مفترق طرق.. ولأول مرة يصدق باراك عندما قال أننا أمام شرق أوسط جديد بعد وفاة الرئيس الأسد تماما كما كنا أمام شرق أوسط جديد بعد وفاة الرئيس جمال عبدالناصر.

.....

** وبتطبيق المبادىء النظرية الخاصة بكتابة المقال التحليلى على هذا المقال يمكن أن نرصد الملاحظات الآتية:

١ - عنوان المقال ينتمى إلى نوع العنوان المختصر ، وهو عنوان معبرعن مضمون المقال.

٢ - فى مقدمة المقال يشير الكاتب إلى ردود الفعل والتحليلات والتعليقات والتكهنات التى صدرت بعد وفاة الرئيس الأسد ، وكيف عبرت عن الدور الكبير الذى لعبه خلال ثلاثة عقود كلاعب رئيسى وسياسى وزعيم فى المنطقة والعالم، كما أكدت المقدمة على أهمية سورية عبرالتاريخ وضرورة السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط.

٣ - وبعد هذا التمهيد يشرح «عرفان نظام الدين» فى جسم المقال أبعاد ماأجمعت عليه ردود الفعل والتحليلات والأصداء المختلفة . ثم يتناول الملفات المختلفة التى تركها الأب والتى يجب على الابن أن يواجهها: ملف الفساد، ملف الإصلاح الاقتصادي، ملف السلام، الملف اللبناني، ملف العلاقات الخارجية، ويبين الكاتب وجهة نظره فيما يمكن أن يكون عليه موقف الرئيس الجديد تجاه هذه الملفات ، مؤكداً ومدعمًا رأيه من خلال استقراء الواقع والأحداث.

٤- ويصل فى خاتمة المقال إلى أن الرئيس الراحل قد أعد المسرح بعناية ودقة ومهد الأجواء للرئيس الجديد ليتسلم الرئاسة من بعده بمثل هذه السلاسة «ويبقى على الدكتور بشار ألا وهو طبيب عيون، أن يبصر طريقه ويمشى فيه ومعه سوريا وشعبها إلى بر الأمان والاستقرار والسلام والحربات وتوسيع دائرة الديمقراطية والمشاركة الشعبية».

وينهى مقاله باقتباس أحد تصريحا «باراك» رئيس وزراء إسرائيل ..: «ولأول مرة يصدق باراك عندما قال أننا أمام شرق أوسط جديد بعد وفاة الرئيس الأسد تماما كما كنا أمام شرق أوسط جديد بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر.

٥ - اتسمت لغة المقال بالموضوعية والبعد عن الانفعال والتعقل والتركيز على المستقبل والمنطقية فى عرض التصورات والخروج بنتائج واستنتاجات. وينقص هذا المقال العناوين الفرعية.

لماذا «الأسد وبشار»؟

قد يثور هناك سؤال عن اختيار المؤلف لوفاة الرئيس السورى الراحل حافظ الأسد، وتولية الرئيس السورى الجديد «بشار» كمنطلق للنماذج التطبيقية لفنون المقال وخاصة المقال الافتتاحى والأعمدة الصحفية والمقال التحليلى.

وإجابة على هذا السؤال يؤكد المؤلف:

١ - لايغيب عن الذهن الأهمية الكبيرة لمكانة القطرالسورى الشقيق فى منظومة العلاقات العربية ودورها الفعال فى هذا المجال.

٢- ترتبط مصر وسوريا بروابط وثيقة ومتينة ليس فى العصر الحديث فقط، بل

على امتداد التاريخ ، وأمن كل من البلدين يرتبط بأمن البلد الآخر واستقرار الأوضاع فيه سياسياً واقتصاديا.

٣ - المصير الواحد والمشترك للبلدين والشعبين، يجعل من قضية استقرار الأوضاع فى سورية قضية مصرية ملحة ، ومن هنا يأتى اهتمام كل مصر حكومة وشعباً بما يحدث فى سورية وخاصة انتقال السلطة فيها واستقرارها المنشود.

٤ - دورا لرئيس السورى الراحل حافظ الأسد فى استقرار الأوضاع فى سورية وتوجيه دفة الأحداث فيها وفى المنطقة العربية بأسرها طوال ٣٠ سنة، حتى ولو اختلف المؤلف وبعض المحللين مع بعض وسائل الأسد لتحقيق هذا الاستقرار من قتل ودماء وتقييد للحريات.

٥ - غرابة وجدة ماحدث على الساحة السياسية وخاصة بالنسبة لبلد يسير على النظام الجمهوري، والجديد هناهو مبدأ خلافة الإبن أو توريث الحكم.

٦ - ردود الفعل المختلفة العربية والعالمية التى صاحبت هذا الحدث وما تبعه من إجراءات مثل تعديل الدستور السورى ليجعل من بشار المرشح الوحيد للرئاسة وترقيته إلى رتبة الفريق والقائد الأعلى للقوات المسلحة السورية.

٧- اختلاف وجهات النظر والتحليلات والتعليقات الصحفية حول هذا الحدث، وما تتيحه للباحث من إجراء مقارنات تثرى البحث الصحفى وتكون بمثابة مرشد ودليل عمل لدارس الصحافة بماتتضمنه من غنى وتنوع فى الآراء وماتؤدى إليه من نتائج واستخلاصات ، خاصة وأن هذه الصحف وماحوته من تحليلات وتعليقات تمثل تيارات واتجاهات مختلفة من الضرورى والمفيد على دارس الصحافة وخاصة من يعد نفسه لكتابة المقال أن يكون على علم ووعى بها وبتأثيراتها على فن المقال الصحفي.

٨ - والمؤلف يؤكد مرة أخرى على أن اختيار هذا الحدث اختيار علمى بحت تؤكده المبررات السابقة ورغبته فى أن يستفيد القاريء ودارس الصحافة دائماً والممارس لها من طزاجة وأهمية هذا الحدث الذى سيؤثر بلاشك على مستقبل الأحداث فى المنطقة.